أصالة الرواية العربية المعاصرة عبر التراث والمعاصرة: دراسة تحليلية

Originality of Arabic contemporary Novel across the tradition and Contemporariness: An analytical Study

Asal usul Novel kontemporari Arab menelusuri tradisi dan era semasa: Satu kajian analitikal

عبدالحليم بن صالح*

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة قضية أصالة الرواية العربية من خلال عرض وجهات النظر والآراء المختلفة للنقاد والأدباء المحدثين بين القبول والرفض، وقد تبين أن الرواية العربية المعاصرة لها جذور عميقة ممتدة من التراث القصصي العربي القديم، وفي نفس الوقت نجدها أنها مشحونة بالمعاصرة للروايات الغربية الحديثة التي أسهمت في تطور الرواية العربية المعاصرة، مع الأخذ في الاعتبار العوامل الأخرى. هذا وقد أُستخلص من الأشكال الموروثية القصصية أركان الرواية العربية المعاصرة ومقوماتها تثبت فعلا أن هذه الموروثات القديمة أدت دوراً مهما في معاصرة الرواية العربية. فضلا عن ذلك سوف تتعرض هذه الدراسة إلى إرهاصات التراث القصص العربي القديم عبر العصور المختلفة، وأثرها في فن الرواية الغربية الحديث، ومكانة التراث الإسلامي في الرواية العربية المعاصرة. ثم الخروج بنتائج مهمة تنصب في مصلحة الرواية العربية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التراث– المعاصرة– الرواية– التأثر– الموروثات– صراع.

Abstract:

This study discusses the issue of the originality of Arabic novel by presenting the various views and opinions of the Modern writers and critic that range between refusal and acceptance. It also takes on the patterns of traditional Arabic narrative culture through the various eras and the influence they left on the modern Western narrative. Obviously, the modern Western novel has its roots extended to Arabic traditional narratives while at the same time it is imbued with the contemporariness of Western novels which in turn contributed to the

*أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ماليزيا.

أرسل المقال بتاريخ : ٢٠١٧/٤/١١م ، وقبل بتاريخ: ٢٠١٧/٩/١٦م

development of contemporary Arabic novel, taking into consideration some other relevant factors. From the traditionally inherited forms of narratives, the foundations of Arabic novel were extracted and its elements had proven indeed that these old inherited traditions have a significant role in developing the contemporariness of Arabic novels.

Keywords: Tradition – Contemporariness – Influence- Inherited tradition – conflict.

Abstrak:
Kajian ini membincangkan isu asal usul penulisan novel Arab dengan memaparkan beberapa pendapat dan pendirian beberapa penulis dan pengkritik moden yang samada menolak atau menerima. Ia juga cuba menyingkap corak naratif dalam tradisi budaya kesusasteraan Arab melalui pelbagai era dan pengaruh yang ditinggalkannya dalam tradisi naratif Barat. Jelasnya, novel moden Barat mempunyai asal usul yang berakar umbi kepada tradisi naratif Arab tradisional namun pada masa sama turut mengandungi unsur semasa naratif Barat yang mempengaruhi kembali perkembangan novel Arab di samping beberapa faktor yang lain yang turut memainkan peranan. Bertunjangkan kepada corak-corak naratif tradisional yang diwarisi, asas-asas novel Arab dibentuk dan unsur-unsurnya telah membuktikan sebenarnya yang ciri-ciri tradisi lama yang diwarisi tersebut sememangnya mempunyai peranan yang penting dalam mengembangkan ciri semasa novel Arab di waktu kini.

Kata kunci: Tradisi – Ciri Semasa – Pengaruh – Tradisi warisan- Konflik.

مقدمة:

بدأت الرواية العربية المعاصرة بداية صراع بين الأخذ من الأشكال القصصية في التراثي العربي القديم وبين الأخذ من الأشكال القصصية الغربية الحديثة، وذلك على أساس الاختلاف الفكري لدى الأدباء والنقاد العرب أنفسهم. حيث لاحظ العديد من النقاد والأدباء العرب، أن المحاولات القصصية العربية المعاصرة بشتى أنواعها جاءت في النصف القرن الثاني من القرن الماضي، وقد تأثرت بعاملين أساسيين، هما: أصالة الموروثات القديمة كالمقامة والقصص الشعبي والحواديت والمدون والمروي من الملاحم، والأعمال الروائية المشهورة في الآداب الغربية الحديثة.[١]

لذا كان هذا الصراع بداية المرحلة التأسيسية لنشأة الرواية العربية المعاصرة، وهي عبارة عن استلهام التراث وتوظيفه، والاحتذاء بالنماذج الروائية الغربية. ومن جانب آخر هناك عوامل أخرى كان لها دور بارز في تطوير الرواية العربية المعاصرة كالطباعة والصحافة والترجمة، وبروز الطبقة الوسطى على ساحة المجتمع، والتي تضم المثقفين والقرّاء، وثورات التحرر الوطني. فقد ذُكر أن نشأة الرواية العربية المعاصرة مرتبطة بالتمدن والتحضر، وبروز الطبقة الوسطى؛ لكنها في الوقت ذاته تظل مشدودة إلى ماضيين اثنين؛ الأول المسرودات العربية التراثية من مقامات وتراجم وكتب رحلات وسير شعبية، والثاني ما نتج من تفاعل العرب مع أوروبا.[٢]

وعلى هذا الأساس يرى بعض الأدباء والنقاد المعاصرين، أن ميلاد الرواية العربية المعاصرة قد بدأت بالفنون القصصية الغربية، باعتبار أن الحضارة الغربية كانت الغالبة والمسيطرة على بقية الحضارات؛ لذا فإنها قد نجحت بكل سهولة في تصدير مذاهبها إلى الآخرين، يقول أحد الأدباء: إن أدبنا مستورد، لا توجد لنا نظرية نقدية عربية يمكن أن نُسهم بها في ركب التطور والحضارة؛ لأن الأدب الذي يكتبه أدباؤنا مستورد، ومقاييسه من ثمّ مستوردة؛[٣] ما دفع بعضهم إلى القول بأن: (الأدب العربي الحديث من خلال اتصاله بالآداب الأوروبية إلى تأثيرها، ذلك التأثير الذي مسَّ الأدب فكراً وتعبيراً وأجناساً واتجاهات، مما جعله يقترب في هذا الجانب كثيراً أو قليلاً من تلك الأوروبية، بل إن التأثير الأوروبي أسهم في خلق أنواع أدبية على أسس جديدة مثل القصة القصيرة والرواية والمسرحية، أكثر مما أسهم الموروث العربي في تطوير هذه الأنواع في الأدب العربي الحديث).[٤]

وعلى الرغم من هذا التأثر الواضح إلا أن العديد من الكتَّاب والأدباء كان يشغلهم التراث الشعبي والرسمي والشفاهي والموروث في الكتب القديمة، ويذكرنا بقول ابن خلدون: إن المغلوب مولع بمحاكاة الغالب، ويوشك أن يندمج المغلوب في بنية القوى المتسلط عليه، ويفني عادة وعملاً ولغة وأدباً إن لم يعصمه من هذا الفناء عصمة من بقايا الحيوية كمنت فيه، وورثها عن تاريخه القديم.[٥]

أولاً: اتجاه الأدباء والنقاد المعاصرين تجاه التراث القصصي العربي القديم

١. الاتجاه المعاكس للتراث القصصي القديم:

اتخذ بعض الأدباء العرب المحدثين اتجاها معاكساً تجاه التراث القصص العربي القديم حينما أهملوه واتجهوا نحو فن القصص الغربي، ونظروا في عدم رقي هذا التراث؛ حينما عبَّر بعضهم بالقول: (... بأن نماذج القصة محددة في الأدب العربي، وأن الحكايات وأحاديث المسامرات والمقامات لا ترقى فنياً إلى القصة، ولذلك لم يكن للعرب قصص فني كثير؛ لأن تركيزهم كان منصباً على الشعر والخطابة، ولأنهم لم يهتموا كثيراً بآداب اليونان لأنه أدب وثني يقوم على الأساطير وتعدد الآلهة).[٦]

ولما كانت دراسة القصص التراثية في أدبنا الحديث تابعة لشروط صارمة تشكلت لدى أهل الحداثة من النقاد الغربيين والعرب؛ ما أدى إلى إهمال ما أنتجه أدبنا القديم من صيغ قصصية؛ لأنه في ظنهم لا يعدو أن يكون أخباراً لا آثاراً قصصية، وقد ذهب إلى هذا الرأي المستشرق أرنست رينان (Ernest Rinan)، وتابعه عليه جملة من الباحثين العرب، ومن أوائل الباحثين العرب قولاً بذلك العقاد في كتابه **الفصول**، وقد ذكر رأيين لمستشرقين هما: سبنسر (Spenser) وموار (Mouar) اتفقا على أن العرب لا ميل لهم إلى فن الحكاية، وتابع العقاد مذهبهما موافقا، وزعم أن القصص والأساطير في حاجة إلى عنصر الخيال، والعرب على حد زعم العقاد أمة بلا خيال.[٧]

وإن السِّمة الغالبة على أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هي ازدياد نفوذ الأدب الأجنبي، وإعجاب الأدباء العرب به؛[٨] لذا يرى بعضهم أن لفن القصص المعاصر –كالروية مثلا له– تقاليده، وقيمه الجمالية المعاصرة وتعبيره عن أوضاع اجتماعية بعينها؛ لذا فقد ربطوا الرواية بوصفه فناً قصصياً حديثاً بنشأة الطبقة المتوسطة في أوروبا، غير أن التراث القصصي العربي الذي توافر في جانب منه خصائص فنية وقيم جمالية أضافت إلى التراث الإنساني في هذا المجال ظل حقيقة مائلة، وهذا لا يضيرنا في شيء أن تكون الرواية فنا قصصياً حديثاً اختلف في تقنيته عما ورثناه، فلكل عصر ضروراته ومتطلباته.[٩]

وقد نقل أحد المعاصرين عن نجيب محفوظ، قائلا: (... إن المضيء والمجيد في التراث العربي لم يكن وارداً في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الرواية العربية الحديثة، وأن الصِّلة كانت مقطوعة بين الماضي العربي والحاضر العربي، وأن الاحتكاك بالحضارة الأوربية المنتصرة والمزدهرة والوافدة مع قوة الاستعمار الأوروبي دفع الروائيين العرب إلى التأثر بالرواية الغربية وتقليدها ومحاكاتها واضعين في فكرهم وأذهانهم الأنموذج المتقدم للأوربي والحضارة الأوربية والثقافة الأوربية ...، وأضاف قائلاً: إن تجربة الرواية العربية الحديثة قصيرة العمر لا تتجاوز الستين عاماً، لقد نشأنا فوجدنا طه حسين وسلامة موسي وسواهما من قادة الفكر يمجدون النموذج الأوربي في الحضارة والفكر والثقافة والأدب فاعتقدنا مثلهم أن الشكل

الغربي للرواية هو الشكل العالمي، فاحتذيناه وكان هذا خطأ، إذ تبينا فيما بعد أنه شكل غربي مرتبط بالحضارة الغربية وأنه توجد أشكال متعددة للرواية والأدب والفن في العالم، لذا نعود اليوم إلى التراث القصصي العربي محاولين تأصيل الشكل الروائي العربي بعد أن تمكنا خلال العقود والأعمال السابقة من تعريب المضمون الروائي).[١٠]

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حينما استصغروا هذا التراث القصصي وتعالوا عليه، فحينما سُئل جبرا إبراهيم جبرا عن عدم وجود أثر مماثل لـ: **ألف ليلة وليلة** على الروائيين العرب، والرواية العربية، أجاب بأن السَّلف الصالح الذي سبقنا عن طريق المحاولات الأدبية ينظر نظرة متعالية إلى **ألف ليلة وليلة** ويعتبرها من أدب العامة، وهذه الفكرة التقليدية ابتلى بها العرب طوال قرون الانحطاط بعد سقوط الدولة العباسية.[١١] وهكذا كانوا يستصغرون ويتعالون على بقية كتب التراث.

وقد ذهب بعض الأدباء والنقاد إلى أن القصص الشعبية كانت أوفر حياة، وأوسع خيالاً وأدخل في باب القصص وعلى رأس هذه القصص **ألف ليلة وليلة**، وهو كتاب لم يعره أدباء العربية التفاتاً إلا بعد أن ذاع في أوروبا وترجموه إلى لغات كثيرة، وقدروه تقديراً كثيراً، والسبب في اِنصراف الأدباء والعلماء من أهل العربية عنه هو أنه كان شعبياً في أسلوبه وموضوعه.[١٢]

ونظر بعض الدارسين المحدثين إلى المورثات من القصص القديمة أيضا من زاوية تاريخية محضة، ولم ينظروا إليها من الزاوية الفنية، بل إن بعضهم اعتبروا بعض هذه الموروثات من الخرافات الجاهلية فأهملوها خوفا على دينهم.[١٣]

وقد استغرب روجر آلن (Roger Allan)[١٤] من أن مصدراً مهماً كـ: **ألف ليلة وليلة** من مصادر الإلهام القصصي، وهي أعظم مجموعة قصصية في العالم، قد أهمل وبقي خارج الصورة، وذلك خلال المراحل الأولى لتطور الرواية العربية على الأقل، ثم أشار إلى أن نسخ **ألف ليلة وليلة** كانت نادرة جداً، وفي مصر على الأقل، خلال المراحل الأولى لتطور الرواية لمرحلة النهضة، وعلل ذلك الندرة، وقلة اهتمام رجال الأدب بهذه الحكايات إلى سبب عام، وهو: أن حكايات **ألف ليلة وليلة** كانت مجموعة من الحكايات السَّردية التي تُروى شفاهة، ويمكن للمرء أن يفترض بأن النسخ المكتوبة الموجودة لم يكن الهدف منها في الواقع إلا تذكير الرواة أنفسهم بأحداث الحكايات، وليست مجموعة يفترض أن يقرأها القراء على نطاق واسع، ولقد كان المجتمع عامة يعتبر حكايات **ألف ليلة** جزءاً من الثقافة الشعبية، فضلا عن ذلك الموقف، بقيت هذه الحكايات التي نالت شهرة عالمية وكان لها تأثير عميق وطويل الأجل في الآداب الغربية، وظلت محصورة في العالم السفلي في الأقطار العربية نظراً إلى ذلك الموقف المتشدد من جانب المؤسسات اللغوية التي تعطي وزناً وقيمة ثقافية هائلة للغة الثقافة العليا خاصةً للنصوص الدينية والأدبية؛ بينما تنكر بصورة عامة تامة أي قيمة للتعبير باللهجات العامة، ولم يبدأ رجال الأدب والنقاد

العرب الاهتمام بهذه النوع من الكتابات إلا بعد اتصالهم بعلماء الأدب الغربيين، وكذلك بعد تطور تقاليد الدراسات الفلكورية في المؤسسات الأكاديمية في منطقة الشرق الأوسط في الآونة الأخيرة.[١٥]

٢. الاتجاه الإيجابي للتراث القصصي العربي القديم:

وقف بعض الأدباء تجاه هذه الموروثات من القصص العربي القديم موقفاً إيجابياً، فقد أشارت بنت الشاطئ[١٦] إلى قضية مهمة من قضايا أدبنا المعاصر، وهي قضية تحرير المفهوم الشائع لمعنى المعاصرة في مجالها الزمني، فقالت: (إذ يحسب كثير منا أنها تعني في الأدب، أن يُشغل بحاضرنا دون الالتفات إلى ماضيه القريب أو البعيد، وعند هؤلاء أن الأديب لا يمكن أن ينتمي إلى العصر ويعيش بوجدانه إلا إذا كفَّ تماماً عن الالتفات إلى الأمس، وتخلص من تأثير تراثه، وحصر اهتمامه كله في الحاضر والمستقبل...، إلى أن قالت: لكن هذا الوجدان العصري مشحون بميراث ماضيه بحيث لا يمكن عزله عنه أو بتره منه، وقانون الوراثة يحتكم هنا في حياة الأدب، كما يحتكم في حياة كل كائن حي، وليس في الإمكان أن نتصور الأدب المعاصر نبتاً شيطانياً بلا جذور ضاربة في أعماق الزمن، إلا إذا تصورنا أن الإنسان العصر لا يمت بأدنى صلة إلى الإنسان الفطري الأول، في عصور ما قبل التاريخ).[١٧]

ومن هنا نجد أن الحديث عن الرواية العربية المعاصرة مرهون ومشحون بإرهاصات الموروثات القديمة، والحديث عن إرهاصات القصة العربية في التراث يُعد الحديث نفسه عن ارهاصات نشأة الرواية العربية المعاصرة؛ لأنه قد أشير واعتبر إلى أن الرواية والقصة يمثلان تياراً واحداً لتقارب الرؤى بينهما، ومن ثم فإن الحديث عن نشأة القصة يعني الأطراف الأخرى أيضاً.[١٨]

فنلحظ عبر مسيرة نشوء فن الرواية المعاصر في وقته المبكر، التأثر الكبير والتعلق الواضح بالأشكال القصصية التراثية القديمة؛ حيث عرف العرب منذ العصر الجاهلي مجموعة مصطلحات ذات دلالات قصصية مثل: قصة وسير وخرافة وأسطورة وخبر ومقامة، الأمر الذي نستشف منه لأول وهلة أن العرب قد عرفوا أشكالاً قصصية متعددة الخصائص والأهداف، وإن لم ينص بعض النقاد ذلك على اعتبار هذه الأشكال نوعاً أدبياً له ملامحه وخصائصه الخاصة.[١٩]

هذا ولو تقصينا الأشكال القصصية المذكورة في التراث العربي القديم مروراً بالعصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، لوجدناها كلها ملامح وإرهاصات قد أثرت بحق في الفنِّ الروائي العربي المعاصر أو أنها عجلت في تطوره، وقد أشار شوقي بدر يوسف في دراساته للرواية العربية المعاصرة إلى أن الأدب العربي القديم خاصةً القصة في مراحلها المختلفة قد ألقت بظلالها وملامحها السَّردية على السَّاحة الإبداعية، وقد أثبتت بالفعل وجود إرهاصات وملامح تراثية قديمة في متن حكائية متناثرة في طيات التراث العربي الذي وصل إلينا، مثل كتابات الجاحظ، وكتاب **الأغاني** لأبي الفرج الأصفهاني،[٢٠] وتتمثل تلك الأشكال القصصية القديمة في القصصي البطولي المعبر عن معارك أيام العرب، ومروراً بقصص

الجاهلية اليمنية الواردة في كتاب **التيجان في ملوك حمير** لوهب بن منبه ، والقصص القرآنية والإسلامية إلى قصص وروايات، وسير عنتر بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وبني هلال، ومقامات الهمذاني والحريري، والقصص الفلسفية في **رسالة الغفران** للمعري، و**رسالة التوابع والزوابع** لابن شهيد الأندلسي، **ورسالة حي بن يقظان** لابن طفيل، **وألف ليلة وليلة**، و**كليلة ودمنة** لابن المقفع، وقصص التجار العرب وسواها من القصص والروايات العربية، مع الكثير من كتب الأدب والتاريخ العربية المصاغة صياغة قصصية.[٢١]

ولهذا قال أحد الأدباء: إن أدباء القرن العشرين يزاولون فن القصة بألوان شتى من وراثات عربية أصيلة، فأعمالهم القصصية العصرية تحمل لقاحها من الأدب العربي العريق ومن قصصنا الشرق التليد.[٢٢] لذلك فإن النهضة الحديثة، لو خلت من عنصر القصة الغربية —من باب الفرض والتخمين— لما عجزنا في انبعاثنا الأدبي الجديد أن نخلق القصة من وحي الأدب العربي وحده، ومن تراثه في ميدان القصص والأساطير، ولكان هذا الأدب على وفرة مأثوراته القصصية خليقاً أن يشق لنا مجرى لقصة عربية جديدة الطابع والطراز.[٢٣]

حتى إن بعض الأدباء والنقاد قد ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حينما زعموا أن العرب كأمة أول من قالت (يحكى أن) و (قال الراوي) و (زعموا أن)، ومنهم من يرفض قياس الأمور بمقياس الحاضر، أي أنه ليس صحيحاً أن العرب القدامى لم يعرفوا القصة، لمجرد أن خصائص القصة الحالية لا تنطبق على القصص القديمة كما عرفها العرب، وقد عللوا ذلك بأن القصة كانت موجودة في التراث العربي؛ ولكنها لم تكن بتلك المواصفات الفنية الحديثة بالطبع؛ ولكن بمميزات خاصة فرضتها طفولة هذا الفن وبداياته.[٢٤]

ثانياً: موقف الباحث من الاتجاهين

لا بد أن يكون لأي فن أدبي حديث مصادره الأولية، وفن الرواية بوصفها فناً نثرياً أدبياً حديثاً في نشأتها قد أُستيقت من منابع عديدة وموارد شتى. وكما أشرنا سابقاً يرى الكثير من النقاد والأدباء أن مصادر الرواية ومنابعها تتمثل في منبعين أساسيين، كان لهما الأساس لظهور فنّ الرواية في الأدب العربي الحديث وتطورها، وهما: أشكال القصص في التراث العربي القديم، والأخذ بتيار أساليب الفكر الغربي.

وفي الحقيقة لا نريد أن نقف هنا موقف الصراع الفكري الذي يزعم أن الرواية العربية المعاصرة وليدة من مؤثرات الرواية الأوروبية، أو أنها منسوبة إلى أصول عربية بحته.

فإذا بحثنا عن ذلك فقد تبرز أمامنا آراء متضاربة وجدل لا نهاية له، فالموقف الذي نحن بصدده لا يدعونا إلى أن نقف أمام هذه القضية موقف المتشدد الذي لا يتجاهل آراء الآخرين ويضرب بها عرض الحائط، بل من عين الحكمة أن نبحث عن أسباب وجود الرواية العربية المعاصرة وعواملها، عبر أبرز

منابعها الأولية ومراحل تطورها وتكوينها، ومن ثمَ يمكننا إثبات أن الرواية العربية المعاصرة ما هي إلا انعكاس لتلك المنابع، وهي وليدة لها على الرغم من أن ملامح الرواية العربية المعاصرة لم تتحدد إلا بعدما تمَّ اتصال العرب بأوروبا.

ومن جهة أخرى لو قِسْنا الرواية العربية المعاصرة على صعيد الفن بناءً على المقاييس الحديثة، فثمة وجهة نظر أخرى تُشير إلى أن حوافز التَّطور الحضاري والإنساني والاجتماعي، كانت من أبرز عوامل التجديد لواقع الإنسان على صعيد الفنِّ، وبهذا نجد للفنون البشرية انعكاساً حقيقياً لهذا التطور عبر العصور، فالقصة القديمة حذف وجودها بعض النقاد لعدم اكتمالها الفني، وبعضهم أصرَّ على وجودها ولو اِنعدمت فيها مظاهر الفن.[٢٥]

لكننا سنقف موقف الأديبين؛ أولهما ما قال به أحد الأدباء العرب المعاصرين بأنه: (ليس من المقبول أن تظل الثقافة العربية عديمة السرد والقص والرواية إلى أن منَّ الله عليها بالمؤثرات الغربية، وليس من العدل في الوقت ذاته أن نغفل دور تلك المؤثرات في تطور الرواية العربية الحديثة، أما الريادة فلعل أفضل ما نفعل هو أن نشعر بالامتنان لكل من كان له دور مهم كانت طبيعة هذا الدور وتوقيته بغض النظر عن النرجسية القطرية والتحيزات الشخصية).[٢٦]

وثانيها موقف روجر آلن،[٢٧] أحد أساتذة الغرب المهتم بالأدب العربي؛ حيث قال: (تطور الرواية العربية المعاصرة هو نتاج عملية طويل الأمد ... إلا أننا نستطيع القول على وجه الخصوص بأنه كان نتيجة للمواجهة والالتقاء بين كل من الغرب بعلومه وثقافته من جهة، وبين إعادة اكتشاف وإحياء التراث الكلاسيكي العظيم لثقافة العربية والإسلامية من جهة أخرى).[٢٨]

ثالثاً: إرهاصات التراث القصص العربي القديم عبر العصور

إن الحديث عن موضوع إرهاصات التراث الفني للقصة العربية قبل عصر النهضة، يحتاج إلى بحث خاص، حتى نستطيع أن نستوعي حقها؛ لأنه موضوع طويل وشاق وشائك، بدءاً من العصر الجاهلي والموازنة بين خرافات الجاهلية وأساطير اليونان والرومان، ثم القصص في القرآن، ثم القصص الإبداعي في العصر الأموي أي قصص الحب العذري، ثم تأثر الأدب العربي بالآداب الأجنبية، ولا سيما الأدب الفارسي وظهور كليلة ودمنة، ثم ظهور المقامات، وبعد ذلك كله ظهور ألف ليلة وليلة ومقدار ما به من فن، ومنزلته في عالم الأدب.[٢٩]

غير أننا لن نتعرض لهذا كله، بل نكتفي بذكر بعض الملامح القصصية الملفتة للنظر الخاصة بكل عصر، بداية من العصر الجاهلي ومروراً بالعصر الإسلامي والعباسي، وصولاً إلى عصر النهضة في الأندلس.

ففي **العصر الجاهلي** نجد أن العرب قد نسجوا أشكالاً متنوعة من القصص والحكايات والأساطير تناولوها في أحاديث سمرهم حول أبطالهم وبطلاتهم، مثل: عنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وزنوبيا، وزرقاء اليمامة، وكان للجنِّ دور لا بأس به في الأدب العربي قبل الإسلام، ثم ظهرت قصص الحوادث الغامضة والعجيبة كقصة عمرو يربوع الذي تزوج الغول، وأخبار تأبط شراً مع الغيلان، وقصة عبيد بن الأبرص مع الشجاع (الحية). وقد امتلأت كتب الأدب بأخبار هذه الأشكال القصصية، ككتاب **مجمع الأمثال** للميداني، و**المحاسن والمساوئ** للبيهقي، و**العقد الفريد** لابن عبد ربه، و**المستطرف** للأبشيهي، و**البخلاء** للجاحظ.[٣٠]

وهناك آثار أخرى تدل على أن العرب قد خلَّفوا لنا آثاراً باقية تدلنا على ما كان لديهم من القصص والأساطير، وهو ما يدور حول الأمثال وأيام العرب، وقد أشار محمد سلام إلى أهم كتب الأمثال الحافلة بتلك القصص والأساطير، وهي: **مجمع الأمثال** للميداني، **وجمهرة الأمثال** للعسكري، و**المستقصي** للزمخشري، و**الفاخر** للمضل بن سلمة، ومن الآثار القصصية الموجودة لدى القدامى أيضاً ما جاء في أحاديث العرافين والكهان من رجال ونساء، وتُعد هذه من الأنواع القصصية الطريفة في العصر الجاهلي، فهناك شق وسطيح وعفيراء والشعشاء، وقد شاعت في العصر الجاهلي الجملة المشهورة (حديث خرافة) يصفون بها كل مقال ينسجِّه الخيال، فإذا سمع العرب حديثاً عجباً لا أصل له، قالوا: حديث خرافة؛ لذا فإن المؤرخين يتجافون عن هذه الأنواع القصصية؛ لأنها عندهم ليست نصوصاً موثوقاً بتعبيرها في الدلالة على ذلك العصر إذ دونت فيما بعد على أنهم يؤرخون أدب العصر التالية التي تم فيها التدوين.[٣١]

فهذه الأشكال القصصية كانت تعتمد على نقل رواية الخبر بطريقة مختصرة دون أن تعطي أهمية للشخصية الإنسانية داخل هذا الخبر، ومن هنا جاءت هذه الشخصيات داخل الأخبار غير واضحة المعالم، حيث كانت وسيلة لحمل الخبر وتقله، أما أسلوب النقل، فقد اعتمد على المباشرة والسرعة.[٣٢]

أما **العصر الإسلامي**، فقد حققت القصة تقدماً أكثر من حيث المفهوم والهدف، فقد أضيف –إلى جانب كونها وسيلة لنقل الخبر وروايته –هدف آخر وهو الهدف الأخلاقي والوعظي والتربوي الذي قصد من وراء استخدامها في ميدان الوعظ والوصايا واتخاذها شواهد تتضمن عظات تربوية وأخلاقية.[٣٣]

فكان تميم الداري رضي الله عنه يروي القصص للرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والمصلين في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أدى القصاصون دوراً أساسياً في الحياة الاجتماعية والسياسية، فوجدناهم في المساجد والمحاكم وقصور الحكام، ما يؤكد أصالة فن القصة العربي، وما يشير فاروق إلى اهتمام الخلفاء الراشدين، ومعاوية رضي الله عنهم بالقصة وجود هذا اللون من النشر في عصور الإسلام، واعتراف الخلفاء الراشدين به وسماحهم بتداوله في مسجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ما نراه من تذوق معاوية رضي الله أن له تذوقاً يدفعه إلى استقدام القصاصين وتدوين ما يقولون، وإضاعة أكثر الليل في الاستماع إليهم، كل هذا يدل على أن القصة كانت شيئاً في طبيعة العربي منذ قديم لم يجد ولاة أمره بعد الإسلام إلا الاعتراف به واقراره، ثم العمل على توجيهه بما يخدم دعوة الدين الجديد، أو الدعاوي السياسية المختلفة.[٣٤]

وبعد مجيء **العصر العباسي** والمعروف بالعصر الذهبي، لم تتطور القصة من حيث موضوعاتها وأغراضها فقط؛ بل إن معانيها قد اتسعت، وأفكارها قد عمقت، وأخيلتها قد انفتحت؛ لأن مشاهد الحياة ومقوماتها العامة في العصر العباسي قد تغيرت، فأغراض القصة العربية في العصر العباسي قد تغيرت وتطورت إلى أغراض إمتاعية وترفيهية، فضلاً عن الأغراض التربوية والوعظية والأخلاقية التي تمثلت ذلك خير تمثيل في **كليلة ودمنة** لابن المقفع الذي وضع كتابه في أيام خلافة أبي جعفر المنصور العباسي؛ حيث حشد العديد من الأمثال والحكم في مختلف شئون الحياة، متخذاً الأسلوب الرمزي وسيلة لنقل هذا كله.

وبجانب ذلك الغرض التربوي والأخلاقي فقد عرف العرب، شكلاً قصصياً آخر يهدف إلى الإمتاع والتسلية، وتمثل هذا في **ألف ليلة وليلة**؛ حيث اختلف الباحثون في تحقيق أصلها، غير أن جزءاً كبيراً منها له طابعه العربي الذي يتناول مدة طويلة من حياة العباسيين، وجزءاً آخر يتناول فترات ترتبط بالفاطميين والمماليك، وهذا يعني أن العرب قد أضافوا على الأصل الفارسي الذي ترجم إلى العربية في القرن الثالث الهجري عدداً من القصص المؤلفة على نمط الفارسية، غير أن ما نلحظه أن شكله القصصي قد حقق تطوراً ملحوظاً في النسيج والبناء إلى جانب الوظيفة، فقد اهتمت أغلب هذه القصص بدراسة الشخصيات المقدمة بوصفها نماذج بشرية لها واقعها الانفعالي، ومشاعرها الخاصة، كما اعتمد على الصراع والتشابك بين الشخصية والواقع.

كذلك اهتمت هذه القصص بتقديم البيئة المكانية والزمانية للأحداث تقديماً يعتمد على الوصف والعرض؛ أما من حيث الوظيفة فقد سيطرت الوظيفة الأخلاقية على أغلب الأعمال باستثناء القصص التي غلب عليها طابع الجنس الفاحش، والتي يرجح أنها في العصر المملوكي، ونجد هذا النوع القصصي عند الهمذاني أيضاً في القرن الرابع الهجري، والحريري في أواخر القرن الخامس، وأوائل السادس في كتابه الشكل القصصي الذي عُرف باسم (المقامة)، إلا أن المقامة كانت شكلاً أكثر نضجاً من قصص ألف ليلة وليلة، من حيث اهتمامها أكثر بالشخصية الإنسانية والبيئة الواقعية، وقد استطاعت مقامات الحريري والهمذاني عبر شخصيتي أبي الفتح وأبي زيد السروجي أن تقترب أكثر من الواقع الاجتماعي للبيئة، ومن الواقع النفسي للشخصية، فحفلت المقامات بتقديم جو التقاليد والعادات والسلوك الإنساني الذي ساد الطبقات الوسطى والدنيا في عدد من المجتمعات الإسلامية، كما

استطاعت أن تحتوي قدراً لا بأس به من الجوانب النفسية للشخصيات المقدمة. ومن الأشكال القصصية المهمة التي عُرفت في تاريخ الأدب العربي القديم، **رسالة الغفران** للمعري في القرن الخامس الهجري، وكذلك **حي بني يقظان** لابن طفيل في القرن الحادي عشر الهجري.[٣٥]

وإذا انتقلنا إلى **الأندلس** لوجدنا غناء وتنوع أنماط الكتابة القصصية في التراث الأدبي الأندلسي، ويمكن اختزال أنماط الكتابة القصصية في الأدب الأندلسي في ثلاثة أنماط رئيسة، وهي: المقامة، والرسائل الحكائية، والأقصوصة.[٣٦] وتعد المقامة بمنزلة القصة القصيرة، في حين تمتد الرسائل الحكائية لتشكل رواية، أما الأقصوصة فهي قصة مختزلة العناصر، من حيث الحدث والزمان والمكان، وقد تقوم على الحقيقة أو الخيال؛ ولهذه الأنماط أمثلتها الفنية في الأندلس.

أما أبرز السمات الأسلوبية في هذه الأنماط التي تجعل الموروث القصصي الأندلسي جنسا من القصة لا يمكن تجاهله تتجلى في شمولها على عناصر الخيال والسرد والوصف والحوار، والشخصيات والحدث وزمانه ومكانه، فضلاً عن أن هذه العناصر كلها تتضافر في بناء العمل الحكائي لتشكل في النهاية قصة فنية متنوعة المقاصد والأهداف، ومن النماذج القصصية المتنوعة المصادر في الموروث الأندلسي نجد القصص الاجتماعية كما في مقامات السرقسطي، والقصص الفلسفية كما في رسالة حي بن يقظان، والقصص الهزلية لابن شهيد.[٣٧]

خلاصة القول: إن ارهاصات التراث في فن الرواية المعاصر تتمثل في ثلاثة مصادر، وهي: **حكايات ألف ليلة وليلة** الشهيرة المصدر الأول، وهي من أكثر مصادر الأدب الشعبي التي تأثر بها المبدعون في الرواية، وتأتي السير الشعبية مثل **سيرة عنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، والأميرة ذات الهمة، وأبي زيد الهلالي** في المرتبة الثانية، ثم المادة الشعبية التي اندمجت بالتراث وتمثل المرتبة الثالثة ومنها قصص الخوارق والخيال والأحداث التاريخية الأسطورية. لذا فإن الفن القصصي العربي المعاصر بأنواعها المختلفة ما هي إلا امتداد متطور للمورثات من الأساطير والملاحم والسير والحكايات الشعبية والقصص والمقامات، ولذلك نجد الكثير من التعابير والأشكال الحكائية القديمة الأسطورية أو الملحمية أو المقاماتية في بنية بعض الروايات الحديثة.[٣٨]

وقد استخلص بعض الأدباء والنقاد من الأشكال القصصية العربية القديمة على مر العصور خصائص تُعد من أركان القصص الفني الحديث ومقوماتها، نذكر بعضها، وهي:

- دقة الوصف وروعة التمثيل.
- براعة الحوار.
- القدرة على استنباط الحقائق وكشف السرائر.
- روح الفكاهة والمرح.

- تصوير مظاهر الحياة الاجتماعية بما فيها من أخلاق وشمائل وتصوير ذلك بطرفة ووضوح.
- الكشف عن عقليات العرب وعقائدهم في الإيمان بالغيب والقضاء والقدر.
- كلّ قصة تُساق – غالباً – لكي تقدم عبرة أو يؤيد فكرة أو تعطي مثلاً أو قيمة.
- تحفل القصص أنماطا مختلفة من التعبير: فمنها ما هو قوي النسج ومنها ما هو عذب سهل
- الاهتمام بالوظيفة والغرض
- اهتمام بعض القصص القديمة بعناصر القصص الحديثة كالشخصية والبيئة المكانية والزمانية والحدث.[٣٩]

رابعاً: أثر التراث القصص العربي القديم في فن الرواية الغربية الحديث

أشار عدد من الأدباء والنقاد العرب إلى أثر الغرب في فن القصص العربي المعاصر من خلال الاتصال بالأدب الأجنبي، وكثرة ما ترجم من أدب الغرب وقصصه في أخريات القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ودعوى الغربيين بأنها نتاج يصعب على العرب إخراج مثله، إذ ينقصهم الخيال المبتكر والعقل الخلاق بسب بيئتهم الصحراوية.[٤٠]

ورداً على ذلك أشار محمد عطية إلى أن القصة العربية قد زودت الفنون القصصية الغربية بما فيها الرواية المعاصرة بينابيع وروافد قصصية متعددة ومتنوعة، فقد شهدت القرون الوسطى حركة ترجمة غربية نَشِطة للقصص العربية، واستمرت حتى مطلع القرن العشرين ونتج عنها تأثر الرواية الغربية بفنِّ القصة العربية في الأشكال والمضامين والموضوعات، ولدينا نماذج فذة من تأثير القصص العربية القديمة في الرواية الغربية كحكايات **ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة** وغيرهما من الأعمال القصصية العربية التي ترجمت في الغرب وأُعيد اقتباسها وتمثيلها وتضمينها في الأعمال الروائية الغربية.

كما كُتب كثير من الأعمال الروائية الأوروبية بتأثير حكايات السندباد البحرية، وأشهرها رواية **كانديد** لفولتير، هذه بعض النماذج الدَّالة على مدى تأثير القصص العربية في الأعمال الروائية الغربية وهو تأثير عميق وشامل تجاوز حد التأثير إلى النقل والاقتباس وامتد من البنية القصصية والروائية إلى الجو العام والقيم والشخصيات والأساطير والرموز؛ ما يدل على أصالة فن القصة العربية وصلاحيته للتطور والتقدم وتغذية الفن الروائي الحديث بالرغم من اختلاف الأشكال القصصية والروائية بين القديم والحديث وبين العربي والغربي.[٤١]

ونذكر أيضاً إلى أن حشداً من العلماء والمستشرقين قد أشاروا، إلى تأثير كتاب **حي بن يقظان** في الفكر الأوروبي الفلسفي واللاهوتي الأدبي، وتحديداً في طلائع الرواية الأوروبية وخاصةً في رواية **روبنسون كروزو** التي ظهرت عام ١٧١٥م لرائد الرواية الإنجليزية دانيال ديفو ١٦٦٠-١٧٣١م (Daniel Defoe) ، فقد

رأو بأن دانيال ديفو متأثر بابن طفيل، وأنه لولا **حي بن يقظان** ما كانت **روبنسون كروزو** هذه الرائعة الروائية التي يؤرخ بها ظهور الرواية الأدبية الحديثة، وفي ذلك انقسم النقاد ومؤرخو الأدب والمفكرون في أوروبا حول هذه القضية، وعقدوا المقارنات الأدبية الطائلة ما بين الإثبات والنفي.[٤٢]

يقول أحد المستشرقين عن ريادة القصص العربي وأثره في نظيره الأوروبي:(من المسَلَّم به عموماً أن أوروبا أستوردت من العالم الإسلامي قصصه وحكمه وأمثاله)، كما يقول جاستون باري Jaston) (Bari وتُرجم عدد من القصص العربية إلى الفرنسية والألمانية والإيطالية والإنجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية، وتولدت منها سلسلة طويلة من الروايات، بل هناك مجموعة كاملة من قصص عربية الأصل انتقلت إلى أوروبا بفضل (بوكاشيو) وغيره من الكتاب الإيطاليين، ... ويشير باري إلى القصص الفرنسية المشهورة التي نبعت مباشرة من أصل عربي منها: قصة فلوارو لانشفلور، وقصة أوكاسين، ونيكولي.[٤٣]

وقد عُلل اقتباس الأوروبيين القصص العربية القديمة التي كانت ذائعة في العالم الإسلامي، خاصةً قصص الرحلات وعجائب المخلوقات، واتخاذها مادة لقصصهم، بأن تجاربهم في الرحلات والأسفار قليلة فاستهوها، ومن أمثلة تلك القصص **كليلة ودمنة** التي ترجع في أصلها إلى خرافات الهند، ثم نقلت إلى الفرس وترجمت بعد ذلك إلى العربية، وعن طريق المسلمين وصلت هذه القصة إلى أوروبا، ومما يتصل بهذه القصص أيضاً المقامات العربية، وكان في هذه المقامات مجال للتقليد حينما لقيت رواجاً كبيراً في القرن السابع. ومن القصص التي ذاعت وانتشرت عند الأوروبيين قصص **ألف ليلة والليلة** و**السندباد**، وظل المؤلفون الأوروبيون يعتمدون على هذه القصص في تأليفهم لوقت طويل.[٤٤]

ويذكر جورج زيدان أن الروايات المترجمة أو بصورة أدق المنقولة إلى العربية في عصر النهضة لا تعد ولا تحصى؛ لأن أكثرها يُراد به التسلية ويندر أن تراد به الفائدة الاجتماعية أو التاريخية أو غيرها، كما أن أغلب هذه الترجمات تمثل أعمالاً طويلة مثل كتاب رفاعة الطهطاوي **موقع الأخلاق في وقائع تليماك** ١٨٤٩م، ولهذا فإن الكثير من مترجمي الروايات الأجنبية لا يكشفون عن ثقافة أدبية ناجحة، ولا يقدرون قيمة الإنتاج الذي يقدمونه ولا يفهمون معنى الترجمة، فقد كانت أغلب هذه الترجمات أقرب إلى التمصير منها إلى الترجمة.[٤٥]

والدعاة الغيورون إلى الإسلام واللغويون المتحمسون إلى اللغة العربية لهم رأيهم آخر أيضاً، فهم يرون أن الترجمة من الفكر الغربي هي بمثابة مأزق خطير يحتاج إلى وعي كبير وإلى يقظة وفهم، وحين نحاول تقويم ما تُرجم إلى اللغة العربية خلال هذه المدة التي امتدت منذ سيطرة النفوذ الأجنبي على البلاد العربية إلى اليوم نجد أن أغلب ما ترجم كان داخلاً أصلاً في خطة المؤامرة فهو إما قصص جنسي تافه، أو ما تُرجم عن كتب الفلسفات الغربية كلها تقدم مفاهيم وأفكار محرفة.[٤٦]

أما رأي الباحث حول هذه القضية من دراسة إرهاصات التراث القصص العربي القديم عبر العصور وأثرها في العمل الروائي الفني في أوروبا، فيرى أن هذه الموروثات القصصية القديم تعد إرثاً عظيماً جديراً بالاعتبار غير أن كثيراً من أدباء العرب قد أضاعوها من أيديهم مهما كانت الأسباب؛ لأنهم لم يدركوا مدى عظمة وأهمية هذه الموروثات، عندما تجاهلوها، وبعدما افتتنوا بالحضارة والثقافة الأوروبية، واتجهوا إلى الرواية الغربية، بقيت هذه القصص العربية القديمة مجهولة غريبة، حتى جاء الروائيون الغربيون واتجهوا إلى دراسة هذا التراث القصصي العربي وأشكاله ومضامينه، ثم اعتمدوا عليها في إبداعهم الروائي ليثروا روايتهم الغربية.

وحينئذ أدرك العرب مدى عظمة هذا الإرث أو التركة —التراث القصصي—، وقرروا الرجوع إلى تراثهم القصصي الأصيل فوجدوا من الأشكال والمضامين والقيم في تراثهم القصصي ما يمكنهم إحياؤه في الفنون العربية المعاصرة بدلاً من استيراد أنواع القصص الغربية التي هي بعيدة كل البعد عن الهوية العربية والإسلامية وثقافتها.

خامساً: التراث الإسلامي في الرواية العربية المعاصرة

تُعد موضوعات التراث الإسلامي في الرواية العربية المعاصرة ظاهرة ملفتة للنظر؛ لأن التراث الإسلامي مليء بالأحداث والتطورات والتغيرات، وقد غطت التراث الإسلامي صفحات شاسعة من القصص العربي المعاصر. التي كان لها أثر بالغ في المجتمع، حتى تمنى بعض رواد الأدباء من أن تكون القصة الإسلامية بديلاً عن تلك القصص المنحرفة التي أفسدت البلاد والعباد.[٤٧]

وقد شهدت الرواية العربية المعاصرة من خلال تأثرها بالتراث الإسلامي إبداعات أصيلة بأقلام مبدعين كبار حملوا في طياتها أهدافا وأغراضاً سامية تدعو إلى القيم الإسلامية في ثوب فني رائع، ويُراعي فيها أيضاً أن يكون أسلوبها ملتزماً ليس فيه ما يخدش الحياء، فيكون بمثابة إشارة وقوف للقارئ ليحميه من الانحراف الأخلاقي، وأن تلتزم بقيم إنسانية أخلاقية لا تأتي مباشرة عن طريق الوعظ والتوجيه، بل من خلال تطور الأحداث والصياغة الأدبية.[٤٨]

وقد أطلق على هذا النوع من القصص الرواية الإسلامية التي تنطلق من منطلق فكري، (فالروائي صاحب رسالة ويؤمن بها ولا يجد حرجاً في إعلانها وهذا شأن كل كاتب فلا يوجد كاتب دون رؤية، وكون الكاتب إسلامياً لا يعفيه ذلك عن الالتزام الفني، وفي الدراسة الفنية تخضع كل قصة— بغض النظر عن إيديولوجية صاحبها — للتحليل الفني ... والأدب ليس ضد أي أيديولوجية ولا يعيبه أن يدعم أدبه بذلك لكن ما يعيبه أن يتحول من فنان إلى خطيب أو واعظ).[٤٩] ويري رائد الرواية الإسلامية

نجيب الكيلاني أن القصة الإسلامية مسؤولة وملتزمة بعقيدة صحيحة تستمد المضمون الفكري منها، ذلك لأن الأدب الإسلامي ليس عبثاً على أحد ولن يكون أبداً.[٥٠]

ومن خلال ما سبق نجد أن الرواية العربية المعاصرة المتأثرة بالتراث الإسلامي تستلهم موضوعاتها وقيمها من التراث الإسلامي، فتقدم لنا عملاً فنياً جامعاً بين المتعة والفائدة، وبين التشويق والتعليم، وبين الإقناع والإصلاح؛ لذا كان لها إسهاما في تزكية النفس الإنسانية، وبناء الإنسان السوي الذي يعمر الأرض، ويقيم شرع الله فيها.[٥١]

هذا وقد تميزت موضوعات التراث الإسلامي في الرواية العربية المعاصرة بمجالها الرحبة، وباتجاهاتها المتنوعة، حتى استطاعت أن تخط خطاها بثقة وثبات وأصالة، بعدما أخذت من معين المعجزات الخالدة، ومن التراث النبوي التليد، وتراث الأجداد، ومن معين التجربة الإنسانية الواسعة، وخضوعها للتصور الإسلامي الذي يحدد أهدافه وفق الوسيلة المناسبة.[٥٢]

ومن ذلك نجد أن الرواية العربية المعاصرة قد استنبطت من التراث الإسلامي موضوعات مختلفة، من أهمها ما يأتي:

أ. **القصص القرآني**: استخدم القرآن الكريم موضوعات القصة بكل أنواعها، فنجد القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، مثل: كقصص الأنبياء والمرسلين، وقصص المكذبين بالرسل وما أصابهم من جراء هذا التكذيب، وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر: كقصة موسى –عليه السلام–، وفرعون، وعيسى عليه السلام، وبني إسرائيل، وصالح، وثمود، وهود، وعاد، وشعيب ومدين، ولوط وقريته، ونوح عليهم السلام وقومه، ثم القصة الواقعية: التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص فيه ذلك النموذج البشري، مثل قصة ابني آدم عليه السلام ، وأخيراً القصة المضروبة للتمثيل: وهي التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة، وفي أي عصر من العصور، أو بيئة من البيئات، مثل قصة صاحب الجنتين.[٥٣]

ولعلنا نجد أن كثيراً من المؤرخين والأدباء والنقاد يضمِّنون القصص القرآني ضمن القصص التراثية في الكتب الأدبية، ورأينا أنه من الأفضل فصلها عن القصص الأخرى وما ذلك إلا لأسباب، منها:

- إن نصوص القصص القرآني كلامٌ منزل من ربِّ العالمين، لا يضاهيه ولا يرتقي إليه كلام أي بشر.
- وإن الغايات أو الأهداف من القصص القرآني هي غايات ربانية سامية قد نعلمها أو لا نعلمها وما ذلك إلا لحكمة بالغة لا يعلمها إلا الله.

ب. السيرة النبوية الكريمة: حيث استهوت سيرة الرسول –صلَّى الله عليه وسلم– كُتَّاب الروايات، فوجدنا منهم من يوظف بعض معطياتها في شكل قصص روائي، يستهدف بعث الأمجاد بوصفه نموذجاً مشرفاً يسترشد به الحاضر، مثل: كتاب **على هامش السيرة** لطه حسين، **ونور الله وقاتل حمزة** لنجيب الكيلاني.

ج.الشخصيات الإسلامية القيادية: والتي برزت خلال مواقف التحول في تاريخ الإسلام المجيد كما في روايتي **وا إسلاماه** لعلي أحمد باكثير، **وقاهر التتار** لمحمد لبيب البوهي، ورواية **صلاح الدين بطل حطين** لعبد اللطيف حمزة.

د.حياة بعض الزهاد والعلماء والعظماء: حيث وظِّفت في شكل روائي يجذب عقل القارئ، ووجدانه كما في رواية **عذراء البصرة** لإبراهيم الأبياري.

هـ.قضايا المسلمين: وتتمثل في التعامل المباشر مع تلك القضايا في محاولة لكشف الكثير من الجوانب الصراع العقدي ضد أعداء الإسلام: كرواية **عمالقة الشمال** لنجيب الكيلاني.[٥٤]

وعلى الرغم من هذه الموضوعات السَّابقة المنبثقة من التراث الإسلامي إلا أننا نفتقد إلى روايات عربية إسلامية مبدعة أو ما زلنا لا نملك تراكماً إبداعياً في الروايات العربية الإسلامية المعاصرة؛ لأننا لا نملك مذاهب أدبية إسلامية صرفة؛ ولهذا فإن الرواية العربية الإسلامية في الواقع ضئلة في النوع والعدد وهي بحاجة إلى واقعية روائية إسلامية معاصرة جادة.

الخاتمة:

مما سبق يتضح لنا أن أصالة الرواية العربية تكمن في موروثاتها القديمة فقد حملت هذه الموروثات في جعبتها الكثير من الموضوعات الإبداعية التي كانت لها الأثر البالغ في الأذهان، والوجدان، وتُعد الرواية العربية المعاصرة من أهم الفنون الأدبية النثرية المعاصرة شيوعاً وشهرة في أوساط المجتمع بعد ما تأثرت من الروايات الغربية فقد اتضحت معالمها وأركانها، لذا فإن ليس من الغريب أو العجيب بأن نسمع شخصاً يقول: (من المتوقع أن يكون حظ النثر الفني أكبر من حظ الشعر، ومن المتوقع أن تكون المساحة التي تشغلها القصة والرواية أوسع بالنسبة إلى الفنون الأدبية الأخرى).[٥٥]

ونأمل من هذه الدراسة تصحيح مفهوم أصالة الرواية العربية المعاصرة عبر التراث والمعاصرة والتي تتلخص نتائجها في الآتي:

- إن الرواية العربية المعاصرة منذ بداية نشأتها حتى ازدهارها قد تأثرت بالمؤثرات الموروثية من القصص العربية القديمة التي اشتملت على أنواع قصصية متعددة ومختلفة،

- تأثرت أيضاً بالمؤثرات الخارجية التي تكمن في تلك الروايات الغربية التي كانت لها صدى قوي في فنِّ الرواية العربية المعاصرة. وهذه المؤثرات بلا شك قد أفادت الرواية العربية المعاصرة، وقادتها نحو الإبداع الروائية.
- إن من عوامل نجاح الرواية العربية المعاصرة التواصل مع جذور فن قصص التراث العربي، والانفتاح على الجديد من الأعمال الروائية المعاصرة.
- حفلت الموروثات القصصية القديمة بنماذج وأشكال متنوعة ذات أغراض وأهداف متعددة، وكانت تعرض بمعزل عن أحد أركان الرواية المعاصرة، ما أدى إلى عدم وضوح الملامح التكوينية، وقد نظر إليها بعض الأدباء والنقاد على أنها ضعيفة وضئيلة القيمة فنياً قيست بالمفهوم الفني للقصة الحديثة.
- تُعد التراث الإسلامي من النزاعات الجديدة في الرواية العربية المعاصرة التي واكبت الأحداث والمتغيرات الطارئة على المجتمع حديثاً، غير أنها ما زالت تعاني من الشح في الكمية والكيفية.
- ترى هذه الدراسة أن الرواية العربية المعاصرة تواجه تحديات من ناحيتي طمس أصالة الهوية العربية والإسلامية وذلك من خلال رؤية الحداثيين للإبداع والتي تقوم على أسس ومبادئ التمرد والتدمير والتحرر، أو بالمبالغة في التبعية الغربية.
- الرواية العربية المعاصرة ليست ضد الحداثة الغربية؛ ولكنها ضد أي هبوط ساخط في الأخلاق القيمة أو الطعن في الأديان السماوية.

هوامش البحث:

[١] انظر: القضاة، محمد أحمد، **التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م)، ص٣٢.

[٢] انظر: مزيد، بهاء الدين محمد، **النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها**، (القاهرة: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص١٩.

[٣] انظر: قصاب، وليد، **موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية الغربية، مجلة الأدب الإسلامي**، الرياض: رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ع(٦٥)، ٢٠١٠م، ص٥.

[٤] محجوب، عباس والصديقي، ضياء، **فصول في النقد الأدبي وتاريخه: دراسة تطبيقية**، (المنصورة: دار الوفاء، ١٩٨٩م)، ص٢١١.

[٥] انظر: ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، ط١، (دمشق: دار يعرب، ٢٠٠٤م)، ص٢٨٣؛ وكذلك: قصاب، وليد، "موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية الغربية، مجلة الأدب الإسلامي"، **مقال سابق**، ص٥.

[٦] أبو شريفة، عبد القادر، وقزق، حسين لافي، **مدخل إلى تحليل النص الأدبي**، ط٤، (عمان: دار الفكر، ٢٠٠٨م)، ص١١٩.

[٧] كما ذكر: اختيار، أسامة، "أنماط السرد القصصي في الأدب الأندلسي"، **مجلة جامعة دمشق**، ج ٢٨، ع(١)، ٢٠١٢م، ص١٣.

[٨] انظر: الدسوقي، عمر، **في الأدب الحديث**، ط٨، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٧٣م)، ج١، ص٤٩– ٤٩١.

[٩] انظر: الشنطي، محمد صالح، **الأدب العربي الحديث، مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه ونماذج منه**، ط٦، (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م)، ص٤٤٨.

[١٠] عطية، أحمد محمد، **أصوات جديدة في الرواية العربية**، (القاهرة: طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م)، ص١٢.

[١١] انظر: السامرائي: ماجد صالح، **حوار في دافع الابداع مع جبرا إبراهيم جبرا**، ط١، (تونس: دار المعارف،١٩٨٥م)، ص١٧٢.

[١٢] انظر: أمين، أحمد، ومحمود، زكي نجيب، **قصة الأدب في العالم**، (القاهرة: شركة الأمل للطباعة والنشر، ٢٠١٦م)، ص٤٨٧.

[١٣] انظر: الشنطي، محمد صالح، **الأدب العربي الحديث، مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه ونماذج منه**، ص٤٤٧.

[١٤] البروفسور روجر آلن (Roger Allan)، أستاذ الأدب العربي واللغة العربية في جامعة بنسيلفانيا، له مؤلفات عدة حول الأدب العربي، فضلاً عن ترجمات عديدة إلى الإنجليزية من الأدب العربي، كما كتب وترجم العديد من المقالات حول فن القصة والمسرحية وأصول تدريس اللغة العربية.

[١٥] انظر: آلن، روجر، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، **الرواية العربية**، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م)، ص ٣٢–٣٣.

[١٦] عائشة عبدالرحمن، أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة عين الشمس.

[١٧] عبدالرحمن، عائشة، –بنت الشاطئ–، **قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر**، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)، ص١٦١.

[١٨] انظر: حسين، نصر الدين إبراهيم أحمد، **إشكالية الالتزام الإسلامي في ضوء القصة العربية الحديث: دراسة نقدية تحليلية**، ط١، (كوالالمبور: مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٨م)، ص٨٠.

[١٩] انظر: الورقي، السعيد، **اتجاهات الرواية العربية المعاصرة**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،١٩٨٩م)، ص٣٣.

[٢٠] يوسف، شوقي، **غواية الرواية: دراسات في الرواية العربية**، (الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٨م)، ص٥– ٦.

[٢١] انظر: عطية، أحمد محمد، **أصوات جديدة في الرواية العربية**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م)، ص٩.

[٢٢] انظر: نصر، على محمد، **دفاع عن القضية العربية والقصة القرآنية**، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، د.ت)، ص٢٠٥.

[٢٣] انظر: البقاع، شفيق. **أدب عصر النهضة**، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م)، ص٢٤٥.

[٢٤] انظر: محجوب، عباس والصديقي، ضياء، **فصول في النقد الأدبي وتاريخه**، ص٢٨٠–٢٨١.

[٢٥] انظر: شفيق البقاع. **أدب عصر النهضة**، ص٢٤٣.

[٢٦] مزيد، بهاء الدين محمد مزيد. **النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها**، ص٢١.

[٢٧] البروفسور روجر آلن، سبق تعريفه.

[٢٨] آلن، روجر، **الرواية العربية**، ص٣١.

[٢٩] انظر: الدسوقي، عمر، **في الأدب الحديث**، ص٤٩٣.

[٣٠] انظر: الورقي، السعيد، **اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر**، ص٣٤.

[٣١] انظر: نصر، على محمد، **دفاع عن القضية العربية والقصة القرآنية**، ص٢٩٨.

[٣٢] الورقي، **اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر**، ص٣٤.

[٣٣] انظر: المرجع السابق، ص٣٥.

[٣٤] انظر: خورشيد، فاروق، **في الرواية العربية عصر التجميع**، ط٢، (بيروت: دار الشروق، ١٩٧٥م)، ص٦٨.

[٣٥] انظر: الورقي، سعيد، **اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر**، ص٣٦–٣٨.

[٣٦] انظر: اختيار، أسامة، "أنماط السرد القصصي في الأدب الأندلسي"، **مجلة جامعة دمشق**، ج٢٨، ع(١)، ٢٠١٢م، ص١١.

[٣٧] انظر: المصدر السابق، ص ٣٦–٣٧.

[٣٨] انظر: القضاة، محمد أحمد، **التشكيل الروائي عند نجيب**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م)، ص٣١–٣٢.

[٣٩] انظر: الشريف، محمد، **القصة في القرآن الكريم (٨)**، (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٣م)، ص٥٥.

[٤٠] انظر: الدسوقي، عمر، **في الأدب الحديث، ج١**، ص٤٩٠–٥٩٤.

[٤١] انظر: عطية، أحمد محمد، **أصوات جديدة في الرواية العربية**، ص٧–٩.

[٤٢] انظر: النجار، محمد رجب، **النثر العربي القديم: من الشفاهية إلى الكتابة**، (الكويت: دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م)، ص٣٢٦.

[٤٣] انظر: الشوباشي، محمد مفيد، **رحلة الأدب العربي إلى أوروبا**، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م)، ص١٢٧؛ وبهجت، منجد مصطفى، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٢٩-٨٩٧م**، ط٢، (عمان: دار الياقوت، ٢٠٠٦م)، ص٤٤٢.

[٤٤] انظر: ندا، طه، **الأدب المقارن**، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩١م)، ص٥٥٢.

[٤٥] انظر: الورقي، سعيد، **اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر**، ص٤٢.

[٤٦] انظر: الجندي، أنور، **العودة إلى المنابع: دائرة معارف إسلامية**، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٤٨م)، ص٣٠١.

[٤٧] انظر: محمد، حسين علي، "**من** قضايا الأدب الإسلامي"، **مجلة الأدب الإسلامي**، الرياض: رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ع(٦٥)، ٢٠١٠م، ص٩٩.

[٤٨] انظر: شمردل، صابرين، "الرواية الإسلامية...الزمان والرؤية والحضور والغياب"، **مجلة الأدب الإسلامي**، الرياض: رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ع(٤١)، ٢٠٠٣م، ص٥٥.

[٤٩] الكيلاني، نجيب، **مدخل إلى الأدب الإسلامي**، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٩٧٨م)، ص٣٦.

[٥٠] انظر: المرجع السابق، ص٣٦.

[٥١] قصاب، وليد، **من قضايا الأدب الإسلامي**، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨م)، ص١٠٨.

[٥٢] انظر: بريغش، محمد حسن، **نحو أدب إسلامي معاصر: دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م)، ص١٢.

[٥٣] انظر: بيلو، صالح آدم، **من قضايا الأدب الإسلام**، (جدة: دار المنار، ١٩٨٥م)، ص١٨-١٩؛ وكذلك: القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، (بيروت: مؤسس الرسالة، ١٩٩٠م)، ص٣٠٦.

[٥٤] أبو الرضا، سعد، **الأدب الإسلامي قضية وبناء**، ط١، (جدة: عالم المعرفة،١٩٨٣ م)، ص١٠٩، ص١١٣.

[٥٥] الحسناوي، محمد محمود، **دراسات في القصة والرواية في بلاد الشام**، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م)، ص٥.

References المراجع

ʿabd al-Raḥmān, *Qiyam Jadīdah Lil'adab al-ʿarabiyy al-Qadīm Wa al-Muʿāṣir*, (Cairo: Dār al-Mārif, 1970).

ʾabi Sharīfah, ʿbd al-Qādir, Wa Qazaq, Ḥussen Lafi, 4th Edition, (Amman: Dār al-Fikr, 2008).

ʾabu al-Riḍa, Saʿd, *al-'adab al-'islāmiyyā : Qaḍiyyah Wa Binā'*, 1st Edition, (Jeddah: ʿālam al-Maʿrifah, 1983).

Al- Biqʿ, Shafāq, *'adab ʿaṣr al-Nahḍah*, 1st Edition, (Beirut: Dār al-ʿilm Lilmalayīn, 1990).

Al- najjār, Muḥammad Rajab, *al-Nathr al-ʿarabiyy al-Qadīm: Min al-Shafāhiyyah ʾila al-Kitābah*, (Kuwit: Dār al-Kitāb al-Jamiʿiy Lilnashr Wa al-Tawzʿ, 1996).

Alan, Roger, *al-Riwāyah al-ʿarabiyyah*, Tarjamah: Ḥiṣah ʾibrahīm al-Munīf, al-Riwāyah al-ʿarabiyyah, (Cairo: al-Majlis al-ʾaʿla Lilthaqāfah, 1997).

Al-Dasūqi, ʿumar, *Fī al-ʾadab al-Ḥadīth*, 8th Edition, (Cairo: Dār al-Fikr, 1973).

Al-Dīn Moḥammad, *al-Nazʿah al-ʾinsāniyyah Fī al-Riwāyah al-ʿarabiyyah Wa Banāt Jinsiha*, (Cairo: Dār al-ʿilm Wa al-ʾimān Wa al-Tawzīʿ, 2007).

Al-Ḥasnāwi, Muḥammad Maḥmūd, *Dirāsāt Fī al-Qiṣṣah Wa al-Rowāyah Fī Bilād al-Shām*, (Amman: Dār ʿammār Lilnashr Wa a-Tawzīlʿ, 2004).

Al-Kilāni, Najīb, *Madkhal ʾila al-ʾadab al-ʾislāmiyy*, (Qatar: Riʾāsah al-Maākim al-Sharʿʿiyyah Wa al-Shuʾūn al-Dīniyyah, 1978).

Al-Qaṭṭān, Mannāʿ, Mabāith Fī ʿulūm al-Qurʾān, (Beirut: Muʾassasah al-Risālah, 1990).

Al-Qudah, Moḥammad, ʿaḥmed, *al-Tashkīl al-Riwāʿiy ʿinda Najib Maḥfūẓ*, (Beirut: al-Muʿassasah al-ʿarabiyyah Lildirasāt Wa al-Nashr, 2000).

Al-Samurrʾiy, Majid Ṣaliḥ, *Ḥiwār Fī Dāfīʿ al-Ibdʿ Maʿa Jabra ʾibrāhīm Jabra*, 1st Edition, (Tunisia: Dār al-Maāārif, 1985).

Al-Shanṭi, Muḥammad Ṣaliḥ, *al-ʾadab al-ʿarabiyy al-Ḥadīth: Madārisuh Wa Funūnuh Wa Taṭawwurahu Wa Qaḍāyāu Wa Namthij Minhu*, 6th Edition, (Hail: Dār alʾandalus Lilnashr Wa al-Tawzīʿ, 2008).

Al-Sharīf, Muḥammad al-Najjr, *al-Qiṣṣah Fī al-Qurān al-Karīm*, (Beirut: Maktabah Hilāl, 1983).

Al-Shūbashi, Muḥammad Mufīd, *Riḥlah al-ʾadab al-ʿarabiyy ʾila ʾurūbba*, (Cairo: Dār al-Maārif, 1968).

Al-Wraqi, al-Saīd, Ittijahāt *al-Riwāyah al-ʿarabiyyah al-Muʿāṣirah*, (Alexandria: Dār al-Maārif, 1989).

ʾamīn, ʾaḥmed, Wa Zaki Najīb Mafūẓ, *Qiṣṣah al-ʾadab Fī al-ʿālam*, (Cairo: Sharikah al-ʾamal Lilṭibʿah Wa al-Nashr, 2016).

ʿaṭiyah, ʾaḥmed Muḥammad, *ʾaṣwāt Jadīdah Fi al-Riwāyah al-ʿarabiyyah*, (Cairo: Maṭābiʿ al-Haiʾah al-Mariyyah al-āmmah Lilkitab, 1987).

Bahjat, Munjid Muṣtafa, *al-ʾadab al-ʾandalisiy Min al-Fatḥ Ḥatta Suqūṭ Ghirnṭah 29-879*, 2nd Edition, (Amman: Dār Yāqūt, 2006).

Bilo, Ṣaliḥ Adam, *Min Qaḍāya al-ʾadab al-ʾislāmiyy*, (Jeddah: Dār al-Manār, 1985).

Brigjish, Muḥammad Ḥasan, *Naḥw ʾadab ʾislāmiyy, al-Muʿāṣir: Dirāāsāt Fī al-Qiṣṣah al-ʾislāmiyy al-Muāṣirah,* 1st Edition, (Beirut: Muʾassasah al-Risālah, 1994).

Ḥussein, Naṣr eldinʾibrāhīm ʾaḥmed, *ʾishkāliyyah al-Iltizām al-ʾislmiyy Fī Ḍūʾ al-Qiṣṣah al-ʿarabiyyah al-Ḥadīthah: Dirāsh Naqdiyyah Taḥlīliyyah*, 1st Edition, (Kuala Lumpur: Maṭbaʿah al-Jamiʿah al-ʾislāmiyyah al-ālamiyyah, 2008).

Ibn Khaldn. Waliyy al-Dīn abd al-Ramān Bin Moḥammad, M*uqaddimah Ibn Khaldūn,* 1st Edition, Taḥqīq: ʿabd Allah Muḥammad al-Raewīsh, (Damascuss; dāR Yaʿrub, 2004).

Ikhtiyar, ʾusāmah, "ʾanmāṭ al-Sard al-Qaṣaṣiyy Fi al-ʾadab al-ʾandalusiyy", *Majallah Jamiah Dimashq*, Mukallad(28), ʾadad(1), 2012.

Khudshid, ʾusāmah, *Fī al-Riwāyah al-ʿarabiyyah ʿaṣr al-Tajmīʿ, 2nd Editio, (Beirut: Dār al-Shurūq, 1990).*

Maḥjūb, ʿabbās Wa al-Ṣidiqi Ḍiyāʾ, *Fuūl Fi al-Naqd al-ʾadabiy Wa Tarkhuh: Dirāsah Taṭbīqiyyah,* (Mansurah: Dār al-Wafāʾ, 1989).

Mazīd, Bahāʾ

Muḥammad, Ḥussein ʿali,"Min Qaḍāyā al-ʾadab al-ʾislāmiyy", *Majallah al-ʾadab al-ʾislāmiyy*, Riyadh: Rābiṭah al-ʾadab al-ʾislāmiyy. ʿadad(65), 2010.

Nada, Ṭāha, *al-ʾadab al-Muqāran*, (Beirut: Dār al-Nahḍah al-ʿarabiyyah, 1991).

Naṣr, ʿali Muḥammad, *Difāʿ ʿan al-Qaḍiyah al-ʿarabiyyah Wa al-Qiṣṣah al-Qurʾāniyyah*, (Mecca: Jāmiʿah ʾum al-Qura, No. date).

Qaṣṣāāb, Walīd, Mawqif al-ʾadab al-ʾislmiyy Min al-Mathāhib al-ʾadabiyyah al-Gharbiyyah", *Majallah al-ʾadab al- al-ʾislmiyy*, Riyad, Rabiṭah al-ʾadab al- ʾislmiyy, 2010.

Qaṣṣāb, Walīd, *Min Qaḍāya al-ʾadab al-ʾislāmiyy*, (Damascus: Dār al-Fikr, 2008).

Shamardal, Ṣabrīn, "al-Bawābah al-ʾislāmiyy..al-Zaman Wa al-Ruʾyah Wa Ḥuḍūr Wa al- Ghiyāb", *Majallah al-ʾadab al- ʾislāmiyy*, Riyadh: Rābiṭah al-ʾadab al-ʾislāmiyy. ʿadad(41), 2003.

Yousif, Shawqi, *Ghiwayah al-Riwāyah al-ʿarabiyyah: Dirāsāt Fī al-Riwāyah al-ʿarabiyyah*, (Alexandria: Muʾassasah Gros al-Duwaliyyah, 2008).